AL-QIBLAH:
Jurnal Studi Islam dan Bahasa Arab
https://journal.stiba.ac.id/index.php/qiblah/index

Vol. 5, No. 6 (2026)
p.907-923
doi:
10.36701/qiblah.v5i6.3688

الإعجاز اللغوي في دقّة اختيار الألفاظ والتصوير القرآني: دراسة دلالية تطبيقية على التعبير عن الحيّة في قصة موسى عليه السلام

LINGUISTIC INIMITABILITY IN THE PRECISION OF QUR'ANIC WORD CHOICE AND IMAGERY: AN APPLIED SEMANTIC STUDY OF THE QUR'ANIC EXPRESSIONS FOR THE SERPENT IN THE STORY OF PROPHET MOSES

عقدي رفيق أسناوي[1]، نور العواليّة معجزة الرضا[2]، وحي سبتريينطا[3]، شاكرة مفاتحا كلما[4]

[a] جامعة دار السلام كونتور, إندونيسيا، aqdi.asnawi@unida.gontor.ac.id
[b] جامعة دار السلام كونتور، إندونيسيا، nurulawwaliyyah01@gmail.com
[c] جامعة دار السلام كونتور، إندونيسيا، wahyuseptrianto@unida.gontor.ac.id
[d] جامعة دار السلام كونتور، إندونيسيا، syakirakalma@gmail.com

Article Info

Received: 17 August 2026
Revised: 16 November 2026
Accepted: 18 November 2026
Published: 23 November 2026

الكلمات الدالة:

الإعجاز اللغوي، نفي الترادف التام، النظم القرآني

Keywords:
Linguistic Inimitability, Denial of Absolute Synonymy, Qur'anic Nazm.

المستخلص

تنطلق هذه الدراسة من أهمية الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، ولا سيّما ما يتعلّق بدقّة اختيار الألفاظ وعلاقتها بالسياق الدلالي. وتهدف إلى تحليل مبدأ نفي الترادف التام (نفي الترادف المطلق) وبيان أثره في تعميق الفهم التفسيري من خلال مقاربة لغوية. وتعتمد الدراسة المنهج الكيفي الوصفي التحليلي القائم على التفسير اللغوي، وذلك عبر تحليل الدلالات السياقية للألفاظ القرآنية المتقاربة في المعنى من خلال الدراسة المكتبية بالرجوع إلى كتب التفسير واللغة. وقد اتُّخذت قصة عصا موسى عليه السلام نموذجاً تطبيقياً، حيث ورد التعبير عنها بثلاثة ألفاظ: حَيَّة، وجَانّ، وثُعْبَان . وتُظهر نتائج الدراسة أنّ لكلّ لفظٍ دلالةً خاصّةً مرتبطةً بالسياق، فحَيَّة تدلّ على أصل التحوّل، وجَانّ تشير إلى سرعة الحركة وما تُحدثه من أثر نفسي يتمثّل في الخوف، بينما ثُعْبَان تعبّر عن الضخامة والهيبة في مقام المواجهة والتحدّي. وتؤكّد هذه النتائج عدم وجود ترادفٍ تامّ في الألفاظ القرآنية، بل إنّ كلّ لفظٍ موضوع بدقّة ليؤدّي وظيفةً دلالية وبلاغية محدّدة .وتخلص الدراسة إلى أنّ تنوّع الألفاظ في القرآن الكريم يُعدّ استراتيجية بيانية مقصودة تُبرز التناسق بين

AL-QIBLAH: Jurnal Studi Islam dan Bahasa Arab
Vol. 5, No. 6 (2026): 907-923
doi: 10.36701/qiblah.v5i6.3688

اللفظ والسياق (النَّظم)، وتسهم في تعزيز المعنى وتعميق الفهم التفسيري، بما يعكس جانباً من جوانب الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم.

Abstract
This study is grounded in the importance of the linguistic inimitability (i'jāz lughawī) of the Qur'an, particularly in relation to the precision of lexical choice and its connection to contextual meaning. The study aims to analyze the principle of the absence of absolute synonymy (nafy al-tarāduf) and to examine its implications for deeper exegetical understanding through a linguistic approach. It employs a qualitative descriptive-analytical method based on linguistic exegesis, focusing on the semantic and contextual analysis of Qur'anic expressions. The data are examined through library research by referring to classical and contemporary works of tafsīr and Arabic linguistics. The case study centers on the story of the staff of Prophet Moses, which is expressed in the Qur'an using three distinct terms: ḥayyah, jān, and thu'bān. The findings reveal that each term carries a specific meaning determined by its context: ḥayyah denotes the basic transformation, jān emphasizes swift movement that produces a psychological effect of fear, while thu'bān signifies a large and awe-inspiring form appropriate to the context of confrontation. These distinctions confirm that there is no absolute synonymy in Qur'anic language; rather, each lexical item is precisely selected to fulfill specific semantic and rhetorical functions. The study concludes that lexical variation in the Qur'an constitutes a deliberate rhetorical strategy that demonstrates the harmony between wording and context (naẓm), strengthens meaning, and contributes to a deeper exegetical understanding, thereby reflecting one of the dimensions of the Qur'an's linguistic inimitability.

***How to cite*:**
Aqdi Rofiq Asnawi, Nurul Awwaliyyah Mu'jizatur Ridho, Wahyu Septriyanto, Syakira Mafatiha Kalma, "*The Linguistic Miracle Of Precision In Qur'anic Word Choice: A Semantic Analysis Of The Terms For "Snake" In The Story Of Moses*", *AL-QIBLAH: Jurnal Studi Islam dan Bahasa Arab*, Vol. 5, No. 6 (2026): 907-923. doi: 10.36701/qiblah.v5i6.3688

This work is licensed under a Attribution-NonCommercial-ShareAlike 4.0 International (CC BY-NC-SA 4.0)

المقدمة

يُعَدُّ القرآنُ الكريمُ كتابَ المسلمينَ المنزَّلَ بلسانٍ عربيٍّ مُبين، وقد تميَّز بدرجةٍ عاليةٍ من الفصاحةِ والدقّةِ والعمقِ الدلالي. ولا تقتصرُ هذه الميزةُ على مضامينه العقديّة والتشريعيّة فحسب، بل تمتدّ لتشملَ بُعدَه اللغويَّ (اللُّغوي) الذي يُمثِّل أحدَ أبرزِ وجوهِ إعجازه. وقد أكّد علماءُ القرآن قديماً وحديثاً أنّ الإعجازَ اللغويَّ هو الوجهُ الأظهرُ في إعجاز القرآن، إذ جاء متحدِّياً العربَ الذين عُرفوا ببلاغتهم وفصاحتهم، فعجزوا عن الإتيان بمثله أو بسورةٍ من مثله.[1] ويُعدُّ هذا التحدّي القرآني دليلاً واضحاً على أنّ نظمَه خارجٌ عن حدود

[1] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (بيروت: دار الكتب العلمية، 2004 م)، ص 117

AL-QIBLAH: Jurnal Studi Islam dan Bahasa Arab
Vol. 5, No. 6 (2026): 907-923
doi: 10.36701/qiblah.v5i6.3688

القدرة البشريّة،[2] وأنّ اختيارَ ألفاظه قائمٌ على دقّةٍ متناهيةٍ تُراعي المقامَ والسياقَ وتُحقّقُ أبلغَ أثرٍ في المتلقّي. وقد بيّن علماءُ البلاغة، وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني، أنّ سرَّ إعجاز القرآن يكمن في النَّظم، أي في التآلف الدقيق بين الألفاظ والمعاني بحيثُ لا يمكن فصلُ أحدِهما عن الآخر.[3] فكلُّ لفظٍ في القرآن موضوعٌ في مكانه على وجهٍ مخصوص، ولا يُمكن استبدالُه بمرادفٍ آخر دون الإخلال بالدلالة أو التأثير البلاغي. ومن هنا قرّر أهلُ اللغة أنّه لا وجودَ للترادف المطلق في القرآن، بل لكلِّ لفظٍ خصوصيّةٌ دلاليّةٌ تميّزه عن غيره.[4] وهذا ما يجعلُ دراسةَ الألفاظ القرآنيّة وتحليلَها ضرورةً لفهم مراد الله تعالى فهماً دقيقاً.

وفي ميدان التفسير، برز ما يُعرف بالتفسير اللغوي، وهو منهجٌ يعتمد على تحليل الألفاظ القرآنيّة من حيث دلالاتها، وبنيتها الصرفيّة، وتركيبها النحوي، وسياقها الاستعمالي، وذلك للكشف عن المعاني الدقيقة التي تحملها النصوص.[5] وقد أفاد كبارُ المفسّرين من هذا المنهج، مثل الزمخشري في كتابه الكشّاف وابن عاشور في التحرير والتنوير، حيث أبرزوا دقائق التعبير القرآني وبيّنوا أسرار اختيار الألفاظ فيه.[6] ومن خلال هذا المنهج يتّضح أنّ كلّ لفظٍ قرآنيٍّ قد وُضع في موضعه بدقّةٍ بالغة، بحيث يؤدّي معنىً خاصّاً لا يقوم مقامه غيرُه.

وبناءً على ذلك، فإنّ دراسةَ دقّة اختيار الألفاظ في القرآن الكريم لا تُسهم في إبراز جانبٍ من جوانب إعجازه فحسب، بل تُعين أيضاً على تعميق الفهم التفسيري للنصّ القرآني، والكشف عن أبعاده الدلاليّة والبلاغيّة. فكلّ كلمةٍ في القرآن تحمل شحنةً معنويّةً خاصّة، وتُؤدّي وظيفةً سياقيّةً محدّدة، ممّا يجعلُ النصَّ القرآنيَّ بناءً لغويّاً محكماً يجمع بين الجمال البياني والكمال الدلالي.[7] يُعَدُّ مبدأُ نفيِ الترادفِ المطلق من القواعدِ الأساس في دراسةِ اللغةِ القرآنية، إذ يقرّرُ علماءُ العربيةِ والتفسير أنّ ألفاظَ القرآن الكريم، وإن بدت في ظاهرها متقاربةَ المعاني، فإنّ لكلِّ لفظٍ منها خصوصيّتَه الدلاليّة التي تميّزه عن غيره بحسب السياق والاستعمال.[8] وهذا يدلّ على أنّ اختيارَ الألفاظ في القرآن لم يكن اعتباطياً، بل جاء وفقَ دقّةٍ بالغةٍ وحكمةٍ

[2] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000 م)، ص 56
[3] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001 م)، ص 47
[4] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (بيروت: دار المعرفة، 2009 م)، ص 120
[5] مناع القطان،، مباحث في علوم القرآن (القاهرة: مكتبة وهبة، 2000 م)، ص 323
[6] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (بيروت: دار المعرفة، 2009 م)، ص 23
[7] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001 م)، ص 55
[8] Toshihiko Izutsu، God and Man in the Quran (*Kuala Lumpur: Islamic Book Trust*، 2002)، hal 12.

AL-QIBLAH: Jurnal Studi Islam dan Bahasa Arab
Vol. 5, No. 6 (2026): 907-923
doi: 10.36701/qiblah.v5i6.3688

عميقةٍ تراعي مقتضى الحال. وقد أكّد عبدُ القاهر الجرجاني أنّ سرَّ البلاغة القرآنية يكمن في النَّظم، أي في العلاقة المحكمة بين اللفظ والمعنى، بحيثُ يوضع كلُّ لفظٍ في موضعه الذي لا يصلحُ له غيرُه.

وقد ذهبَ عددٌ من علماء الدلالة إلى تأكيد هذا المعنى، فبيّن الراغبُ الأصفهاني أنّ الألفاظَ القرآنية لا تقومُ مقامَ بعضها مقاماً تامّاً، لأنّ لكلِّ لفظٍ ظلالَه الدلالية الدقيقة.[9] كما أشار ابنُ عاشور إلى أنّ تنوّعَ التعبير في القرآن إنّما هو لمراعاة اختلاف المقامات، وأنّ اختلافَ الألفاظ يدلّ على اختلاف المعاني ولو في أدقّ جزئياتها.[10] ومن هنا فإنّ دراسة الفروق اللغوية بين الألفاظ القرآنية تُعَدُّ مدخلاً أساسياً لفهم إعجازه البياني والكشف عن دقّة تعبيره.

ويتجلّى هذا المبدأ بوضوح في قصّة نبيّ الله موسى عليه السلام، ولا سيّما في حادثة انقلاب عصاه حيّةً. فقد عبّر القرآن عن هذا الحدث بثلاثة ألفاظ مختلفة، هي: (حَيَّة) و (جَانّ) و (ثُعْبَان). وعلى الرغم من اشتراكها في الدلالة العامة على معنى الحية، فإنّ كلَّ لفظٍ منها يحمل دلالةً خاصّةً تميّزه عن غيره.[11] فلفظ حَيَّة يُستعمل للدلالة العامة على جنس الحيّات دون تخصيصٍ بصفةٍ معيّنة، وهو ما يفيد مطلق التحوّل من العصا إلى كائن حيٍّ زاحف. أمّا لفظ جَانّ فيدلّ على الحيّة الصغيرة الدقيقة السريعة الحركة، ويُستفاد منه معنى الخفّة والاضطراب في الحركة، ممّا يُحدثُ أثراً نفسياً قويّاً من المفاجأة والخوف.[12] وأمّا ثُعْبَان فيدلّ على الحيّة العظيمة الضخمة التي تملأ العين هيبةً وتُثير الرعب في النفوس، وهو وصفٌ يُناسب مقام التحدّي وإظهار المعجزة أمام فرعون وملئه.

ويتّضح أثرُ هذه الفروق الدلالية في سياقات الآيات القرآنية المختلفة. ففي قوله تعالى في سورة طه: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾.[13]جاء التعبير بلفظ حَيَّة للدلالة على أصل التحوّل دون إبراز جانب التخويف، وكأنّه توصيفٌ ابتدائيٌّ للحادثة. أمّا في سورة النمل، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا﴾[14]، فقد استُخدم لفظ جَانّ لبيان سرعة الحركة وشدّة الاضطراب، وهو ما يفسّر خوفَ موسى عليه السلام

[9] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (بيروت: دار المعرفة، 2009 م)، ص 20
[10] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: دار سحنون،1997 م)، ص 45
[11] محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون (القاهرة: مكتبة وهبة، 2000 م)، ص 112
[12] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (بيروت: دار المعرفة، 2009 م)، ص 365
[13] القرآن الكريم، طه20 :20
[14] القرآن الكريم، النمل، 10. :27

وانصرافه. وأمّا في مقام المواجهة مع فرعون، فقد قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾،[15] حيث جاء لفظ ثُعْبَان ليُبرز عِظَمَ المعجزة وقوّتها، بما يتناسب مع مقام التحدّي وإظهار الغلبة على السحرة.

وقد نبّه المفسّرون إلى هذه الدقائق، فذكر الزمخشري أنّ التعبير بثعبان يدلّ على عِظَم الخِلقة وقوّة التأثير في مقام التحدّي[16]، بينما أشار فخر الدين الرازي إلى أنّ اختلاف الألفاظ في هذه المواضع إنّما هو لاختلاف الأحوال والمقامات التي وقع فيها الحدث[17]. تتمثّل مشكلة البحث في الإجابة عن مجموعة من الأسئلة، وهي: ما الدلالات اللغوية والسياقية لألفاظ (الحَيَّة) و(الثُّعْبَان) و(الجَانّ) الواردة في قصة موسى عليه السلام؟ وما أوجه الاختلاف الدلالي والبياني بين هذه الألفاظ في سياقاتها القرآنية، مع مراعاة الفرق بين التسمية المباشرة والتصوير بالتشبيه؟ وكيف تتجلّى دقّة اختيار الألفاظ والتصوير القرآني في التعبير عن الحيّة في قصة موسى عليه السلام؟

تجمع بيانات هذا البحث من خلال المنهج المكتبي، بحصر الآيات القرآنية التي وردت فيها الألفاظ الثلاثة: حية، وجان، وثعبان في سياق قصة موسى عليه السلام، ثم جمع المعلومات المتعلقة بها من المعاجم العربية وكتب التفسير ومصادر علوم القرآن. وقد اختيرت هذه الآيات لأنها تتضمن الألفاظ الثلاثة في وصف الحية التي تحول إليها عصا موسى عليه السلام، مما يتيح دراسة الفروق الدلالية بينها وبيان أثر السياق في تحديد دلالة كل لفظ. وتحلل البيانات بدراسة المعاني المعجمية لهذه الألفاظ، ثم تتبع استعمالاتها في الآيات وتحليل سياقاتها وخصائصها الدلالية والبلاغية، بالاستعانة بأقوال المفسرين وما ورد في المعاجم العربية، للوصول إلى بيان الفروق الدلالية بينها ودقة اختيارها في التعبير القرآني.

تناولت دراسات سابقة موضوع الألفاظ القرآنية ودلالاتها اللغوية والسياقية، ومن أبرزها دراسة إخوان أمالح (2018) بعنوان: معنى ثعبان وحية وجان في قصة موسى: دراسة دلالية، المنشورة في مجلة Dirosatuna: Journal of Islamic Studies، المجلد الأول، العدد الأول، الصفحات 72–79.[18] وركزت هذه الدراسة على تحليل معاني الألفاظ الثلاثة في قصة موسى عليه السلام من خلال المنهج الدلالي، بالاستفادة من المنهج

[15] Kementerian Agama Republik Indonesia, *Al-Qur'an dan Terjemahannya* (Jakarta: Lajnah Pentashihan Mushaf Al-Qur'an, 2019), QS. Az-Zumar [39]: 21.

[16] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (بيروت: دار المعرفة، 2009 م)، ص 118

[17] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار الفكر، 1981 م)، ص 210

[18] Ikhwan Amalih، *Ma'nā "Ṯu'bān", "Ḥayyah", wa "Jānn" fī Qiṣṣati Mūsā (Dirāsah Dalāliyyah)*, *Dirosatuna: Journal of Islamic Studies*، 1.1 (2018)، p. 72–79.

البنيوي عند كلود ليفي ستروس. كما تناولت دراسة دندا وأغوستيار وإرمان غني (2025) بعنوان Stilistika : Al-Qur'an (Studi Makna Kata Tsu'ban, Jann dan Hayyah dalam Kisah Nabi Musa as)، المنشورة في مجلة Jurnal Pendidikan Tambusai ، المجلد التاسع، العدد الأول، الصفحات 1365–1372،[19] دلالات الألفاظ الثلاثة وأسرار اختلاف استعمالها في قصة موسى عليه السلام من منظور أسلوبي. ومن الدراسات ذات الصلة أيضًا دراسة شايع ونجاح راضية (2017) بعنوان: ألفاظ الحيوان في القرآن الكريم: دراسة دلالية،[20] التي تناولت دلالات ألفاظ الحيوان في القرآن الكريم وفق نظرية الحقول الدلالية، مع تصنيفها بحسب سياقاتها اللغوية. وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في تركيزها على تحليل الفروق الدلالية والبلاغية بين الألفاظ الثلاثة، مع بيان أثر السياق القرآني في تحديد دلالة كل لفظ وخصوصية استعماله في قصة موسى عليه السلام.

وبناءً على ذلك، لا يدّعي البحث الحالي أنّه أول دراسة تتناول ألفاظ ،حَيَّة، و،جَانّ، و،ثُعْبَان، في قصة موسى عليه السلام، كما لا يجعل مجرّد المقارنة بين معانيها المعجمية أساساً لجدّته العلمية. وإنما تتمثّل نقطة الاختلاف في تركيزه على العلاقة بين الاختيار اللفظي والبنية التركيبية والسياق السردي، ولا سيّما التمييز بين التسمية المباشرة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾، والتعبير التشبيهي في قوله تعالى: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾. ومن ثمّ، يسعى هذا البحث إلى بيان أثر اختلاف البناء التركيبي، إلى جانب الدلالة المعجمية، في تشكيل الصورة القرآنية وتوجيه المعنى بحسب السياق الذي ورد فيه كل تعبير. وتكمن الإضافة العلمية للبحث في تقديم تحليل لغوي وبلاغي سياقي يربط بين دلالة اللفظ وطريقة توظيفه في التركيب والسياق، بدلاً من الاقتصار على بيان الفروق المعجمية بين الألفاظ الثلاثة.

البحث

يُعَدُّ مبدأُ نفيِ الترادفِ المطلق (نفي الترادف التام) من أهمّ القواعد المنهجيّة في دراسة اللغة القرآنية، وهو مبدأٌ يقوم على أساس أنّ الألفاظ القرآنية لا يمكن أن تكون متساويةً في المعنى من جميع الوجوه، بل إنّ كلَّ لفظٍ منها يحمل دلالةً خاصّةً تميّزه عن غيره، ولو في أدقّ الفروق وألطفها. وهذا المبدأ ليس مجرّد افتراضٍ نظري، بل هو نتيجةُ استقراءٍ عميقٍ للنصّ القرآني عند علماء اللغة والتفسير والبلاغة. وقد أشار إلى هذا

[19] Erman Ghani Dinda، Agustiar، Stilistika Al-Quran (Studi Makna Kata Tsuban، Jann Dan Hayyah Dalam Kisah Nabi Musa As، *Jurnal Pendidikan Tambusai*، 9.1 (2025)، pp. 1365–1372.

[20] Shaye dan Najah Radiyah، *Alfāẓ al-Ḥayawān fī al-Qur'ān al-Karīm – Dirāsah Dalāliyyah.* (Kosakata Hewan Dalam Al-Quran: Kajian Semantik)، *Repositori Resmi Universitas El Oued*، 2017.

المعنى عددٌ من أئمّة اللغة، وفي مقدّمتهم الراغب الأصفهاني، حيث قرّر أنّ اختلاف الألفاظ يقتضي اختلاف المعاني، فقال: الألفاظ إذا تقاربت معانيها فلكلّ واحدٍ منها خصوصيّةٌ ليست للآخر.[21] وهذا النصّ يُبيّن بوضوح أنّ ما يُظنّ ترادفاً في الظاهر إنّما هو تقاربٌ في المعنى لا تطابقٌ تامّ، ممّا يفتح المجال لدراسة الفروق الدقيقة بين الألفاظ.

كما أكّد ابن فارس هذا الاتجاه في كتابه مقاييس اللغة، حيث قرّر أنّ لكلّ أصلٍ لغويٍّ دلالةً محوريّةً ترجع إليها مشتقّاته، وأنّ اختلاف الأصول يدلّ على اختلاف المعاني بالضرورة.[22] وهذا يدلّ على أنّ البنية الاشتقاقية للغة العربية نفسها تقوم على مبدأ التمايز الدلالي، لا الترادف المطلق. ومن جهةٍ أخرى، تناول عبد القاهر الجرجاني هذه القضية من زاويةٍ بلاغيّةٍ دقيقة، من خلال نظريته في النَّظم، حيث بيّن أنّ سرّ الإعجاز القرآني لا يكمن في الألفاظ المفردة فحسب، بل في طريقة تأليفها وترتيبها وفق مقتضى الحال. ويرى أنّ كلّ لفظٍ في القرآن قد وُضع في موضعه الذي لا يصلح له غيره، وأنّ استبداله بلفظٍ آخر لو كان قريب المعنى يؤدّي إلى اختلال المعنى أو ضعف التأثير.[23] وهذا يدلّ على أنّ نفي الترادف مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بإعجاز القرآن البياني.

ولم يقتصر هذا المبدأ على علماء اللغة، بل تبنّاه المفسّرون أيضاً في تعاملهم مع النصّ القرآني. فقد أكّد الزمخشري في الكشّاف أنّ اختلاف التعبير في القرآن إنّما هو لاختلاف المعاني والسياقات، وأنّ كلّ لفظٍ يُستعمل في موضعه بدقّةٍ متناهية.[24] كما ذهب فخر الدين الرازي إلى أنّ ما يُظنّ من الترادف في القرآن إنّما هو اختلافٌ في الصفات أو الأحوال أو المقامات، وليس ترادفاً حقيقيّاً.[25]

أما في مسألة الترادف، يذكر ابن تيمية أنّ القول بوجود الترادف التام في القرآن يُضعف دلالة النصّ، لأنّه يقتضي إمكان استبدال الألفاظ بعضها ببعض دون تأثير، وهذا ما يتنافى مع إعجاز القرآن ودقّة بيانه.[26] ولذلك، فإنّ القول بنفي الترادف يُعَدُّ من لوازم الإيمان بإعجاز القرآن من الناحية اللغوية. ومن التطبيقات المنهجيّة لهذا المبدأ في علم التفسير ما يُعرف بعلم الفروق اللغوية، وهو العلم الذي يُعنى ببيان الفروق الدقيقة

[21] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (بيروت: دار المعرفة، 2009 م)، ص 23
[22] ابن فارس، مقاييس اللغة (القاهرة: دار الفكر، 1979 م)، ص 45
[23] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001 م)، ص 60
[24] الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (بيروت: دار المعرفة2009 م)، ص 34
[25] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار الفكر، 1981 م)، ص 112
[26] ابن تيمية، مجموع الفتاوى (الرياض: مجمع الملك فهد، 1995 م)، ص 341

بين الألفاظ المتقاربة في المعنى. وقد ألّف أبو هلال العسكري كتابه *الفروق اللغوية* لبيان هذه الفروق، مؤكّداً أنّ إدراكها ضروريّ لفهم النصوص فهماً دقيقاً.[27] وهذا العلم يُعَدُّ أداةً مهمّةً في تفسير القرآن، لأنّه يُساعد على الكشف عن دلالات الألفاظ في سياقاتها المختلفة. ومن خلال ما سبق، يتبيّن أنّ مبدأ نفي الترادف المطلق يُمثّل أساساً مهمّاً لفهم اللغة القرآنية، ويُسهم في إبراز دقّة التعبير القرآني وإعجازه البياني. كما يُشكّل هذا المبدأ مدخلاً رئيساً لدراسة الألفاظ التي تبدو مترادفة، مثل الألفاظ الدالّة على الحية في قصّة نبيّ الله موسى عليه السلام، حيث يُظهر التحليل أنّ كلّ لفظٍ منها يحمل دلالةً خاصّةً تتناسب مع السياق الذي ورد فيه.

تحليل لفظ حَيَّة في السياق القرآني

يُشكّل لفظُ حَيَّة في قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ نموذجاً دقيقاً لاختيارٍ لغويٍّ في القرآن الكريم، حيث تتجلّى فيه أبعادٌ دلاليّةٌ تتجاوز المعنى المعجميّ المباشر إلى دلالاتٍ يرتبط بعضها بالسياق البلاغيّ للنصّ. فمن الناحية المعجميّة، يُعرَّف لفظ الحَيَّة بأنّه اسمٌ معروفٌ لهذا النوع من الحيوان، ويُستعمل للذَّكر والأنثى، كما ذكر ابن دريد في معجمه.[28] غير أنّ هذا التعريف المعجميّ لا يستوعب وحده دقّة الاستعمال القرآنيّ، إذ إنّ السياق لا يكتفي بالإحالة إلى المسمّى، بل يربط اللفظ بطبيعة[29] الحدث الذي تصوّره الآية.

ومن الناحية الاشتقاقيّة، أشار بعض اللغويين إلى ارتباط لفظ الحَيَّة بالجذر ح ي ي، الذي يدلّ في أحد معانيه على الحياة في مقابل الموت. وقد ذكر ابن منظور أنّ اشتقاق الحَيَّة من الحياة قولٌ لبعض أهل اللغة، مع إيراده قولاً آخر في أصل اشتقاقها. كما بيّن ابن فارس أنّ أصل هذا الجذر يدلّ على خلاف الموت.[30] ويساعد هذا الارتباط اللغويّ على إبراز دلالة التحوّل من الجماد إلى الكائن الحيّ في سياق الآية، ولا سيّما أنّ الفعل تَسْعَى يضيف إلى صورة الحَيَّة معنى الحركة والسعي. ومن ثمّ، فإنّ دلالة اللفظ في الآية تتشكّل من تفاعل معناه المعجميّ مع السياق التركيبيّ والقرآنيّ، لا من أصله الاشتقاقيّ وحده.

[27] أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية (بيروت: دار الكتب العلمية، 2003 م)، ص 18

[28] أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، جمهرة اللغة (بيروت: دار العلم للملايين، 1987 م)، ص576

[29] محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، 1414 هـ)، ص220

[30] أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة (بيروت: دار الفكر، 1979 م)، ص122

AL-QIBLAH: Jurnal Studi Islam dan Bahasa Arab
Vol. 5, No. 6 (2026): 907-923
doi: 10.36701/qiblah.v5i6.3688

وإذا انتقلنا إلى المستوى التركيبي، فإنّ اقتران لفظ حَيَّة بالفعل المضارع تَسْعَى يُشكّل بنيةً تصويريّةً ذات دلالةٍ خاصّة، إذ يدلّ الفعل سعى في أصل استعماله على الحركة السريعة المقصودة.[31] وهو ما يُضفي على الصورة بعداً حركيّاً واضحاً يُكمّل دلالة الحياة الكامنة في اللفظ. وقد نبّه ابن عاشور إلى أنّ الجمع بين الاسمية (حَيَّة) والفعلية (تَسْعَى) يُقصد به تحقيق المعنى في ذهن المتلقّي، إذ يُثبت الاسمُ ماهيّةَ الشيء، ويُبرز الفعلُ صفته الحسيّة الظاهرة.[32] وهذا التناسق بين الاسمية والفعلية يُنتج صورةً حيّةً متكاملة تُجسّد المعجزة في أذهان السامعين.

ومن جهةٍ بلاغيّة، فإنّ اختيار لفظ حَيَّة في هذا الموضع يرتبط بما يُعرف بمراعاة مقتضى الحال، حيث إنّ الخطاب موجّهٌ إلى موسى عليه السلام في بداية الوحي، وهي لحظةٌ تتطلّب الجمع بين الإظهار والتطمين. ولذلك لم يُستخدم لفظٌ يُوحي بالضخامة أو الرهبة الشديدة، بل اختير لفظٌ عامٌّ يحقّق الغرض من إظهار المعجزة دون أن يُثقل السياق بدلالات التخويف. وقد أشار أبو السعود إلى أنّ هذا التعبير يُناسب مقام التهيئة، إذ المقصود تعريف النبيّ بالمعجزة وتعويده عليها قبل مواجهة الخصوم.[33] ويُمكن تعميق هذا التحليل من خلال النظر إلى البعد التداولي للنصّ، حيث إنّ المتلقّي الأوّل (موسى عليه السلام) لم يكن في مقام تحدٍّ أو مناظرة، بل في مقام تلقّي الوحي والتكليف. ومن هنا، فإنّ البنية اللغوية جاءت متناسبةً مع هذا المقام، فركّزت على إثبات الحدث لا تضخيم أثره. وهذا ما يُفسّر غياب الألفاظ التي تحمل دلالات التهويل، بخلاف ما نجده في مواضع أخرى من القصة نفسها.

كما أنّ بعض المفسّرين أشاروا إلى بُعدٍ آخر في هذا اللفظ، وهو كونه يُمثّل الحدّ الأدنى من التصوير الدلالي الذي يُبنى عليه التدرّج في عرض المعجزة في مواضع لاحقة. فقد ذكر الألوسي أنّ التعبير بحَيَّة هنا هو من باب الابتداء في التصوير، ثم تتصاعد الدلالة في مواضع أخرى بحسب مقتضى المقام.[34] وهذا يُشير إلى أنّ الألفاظ القرآنية لا تُفهم منعزلةً، بل في إطار شبكةٍ سياقيّةٍ متكاملة تتوزّع فيها الدلالات وفق نظامٍ دقيق . وخلاصة القول، إنّ لفظ حَيَّة في هذا السياق يُمثّل اختياراً لغويّاً بالغ الدقّة، يجمع بين البساطة الظاهرة والعمق الدلالي، حيث يؤدّي وظيفةً مزدوجة: من جهةٍ يُثبت وقوع المعجزة في صورتها الأصلية (تحوّل الجماد إلى

[31] محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، 1414 هـ)، ص385

[32] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 م)، ص 235

[33] أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1994 م)، ص 12

[34] شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1997 م)، ص 180

AL-QIBLAH: Jurnal Studi Islam dan Bahasa Arab
Vol. 5, No. 6 (2026): 907-923
doi: 10.36701/qiblah.v5i6.3688

حيّ)، ومن جهةٍ أخرى يُراعي الحالة النفسيّة والسياق البلاغي للخطاب. وهذا كلّه يُؤكّد أنّ الألفاظ القرآنية لا يمكن تفسيرها تفسيراً معجميّاً صرفاً، بل لا بدّ من قراءتها في ضوء السياق والتركيب والوظيفة البلاغيّة .

تحليل لفظ جَانّ في ضوء الدلالة اللغوية والسياق القرآني

يُعَدُّ لفظُ جَانّ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ من الألفاظ ذات الكثافة الدلالية العالية، إذ يجمع بين البعد اللغوي والتصويري والنفسي في آنٍ واحد، ويُسهم في بناء مشهدٍ حيٍّ متحرّك يُجسّد أثر المعجزة في نفس المتلقّي. أما في مسألة الترادف، فيرى ابن تيمية أن الترادف في اللغة قليل، وأنه في ألفاظ القرآن نادر أو معدوم، إذ قلّ أن يؤدي لفظ آخر جميع المعنى الذي يحمله اللفظ القرآني، وإنما يقرّب معناه. ويعدّ ابن تيمية ذلك من أسباب إعجاز القرآن ودقة بيانه.[35]

ويرتبط هذا المعنى بالجذر اللغوي ج ن ن الذي يدلّ في أصل وضعه على الستر والخفاء،[36] ومنه الجِنّ والجَنّة والجَنين. وقد ورد في المعاجم العربية أنّ الجانّ نوعٌ من الحيّات، ووُصف بأنّه ،الدقيق الخفيف،، كما نقل ابن منظور عن الزجّاج أنّ حركة الجانّ خفيفة.[37] ويتّضح هذا المعنى في تفسير قوله تعالى: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، إذ يفسّر أبو السعود التشبيه بأنّ العصا ظهرت في حركتها كأنّها حيّة خفيفة سريعة الحركة.[38] وبناءً على ذلك، فإنّ التشبيه بالجانّ في الآية لا يقتصر على بيان هيئة الحيّة، بل يبرز أيضاً طبيعة حركتها من حيث الخفّة والسرعة والاضطراب، وهو ما يتناسب مع اقتران التشبيه بالفعل ،تَهْتَزُّ،.

وعند تأمّل التركيب القرآني، نجد أنّ هذا اللفظ جاء في سياق قوله: تَهْتَزُّ، وهو فعلٌ يدلّ على الحركة الشديدة المضطربة،[39] ممّا يُنشئ تآزراً دلاليّاً بين الفعل والاسم، حيث يفسّر كلٌّ منهما الآخر ويُعزّز معناه. فالفعل تهتزّ يقدّم الإطار الحركي العام، بينما يأتي التشبيه بجَانّ ليُحدّد نوع هذه الحركة ويُكثّف صورتها في

[35] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج 13 (الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،، 1995 م)، ص 341

[36] ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم (بيروت: دار الكتب العلمية، 2000 م)، ص 134

[37] محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، 1414هـ)، ص. 220

[38] محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (بيروت: دار الكتب العلمية, 1999 م)، ص 274

[39] الراغب الأصفهاني، تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2007 م)، ص 88

AL-QIBLAH: Jurnal Studi Islam dan Bahasa Arab
Vol. 5, No. 6 (2026): 907-923
doi: 10.36701/qiblah.v5i6.3688

ذهن المتلقّي. وقد أشار أبو العباس القرطبي إلى أنّ هذا التشبيه من أبلغ ما يكون في تصوير الحركة المفاجئة التي تُحدث الفزع، لأنّه ينقل السامع من مجرّد الإدراك العقلي إلى المعايشة الحسيّة للمشهد.[40]

ومن الناحية البلاغية، يُلاحظ أنّ الآية لم تقل: فإذا هي جانّ، كما في مواضع أخرى من القصة، بل جاءت بصيغة التشبيه: كَأَنَّهَا جَانٌّ، وهذا الاختيار له دلالة مهمّة. فالتشبيه هنا يُفيد تقريب الصورة إلى ذهن موسى عليه السلام بحسب ما أدركه في تلك اللحظة، لا بحسب حقيقة ماهية العصا المتحوّلة. وهذا ما نبّه إليه أبو حيان، حيث يرى أنّ التعبير بـ"كأنّ" يدلّ على أنّ الرؤية كانت قائمةً على الانطباع الحسيّ السريع الناتج عن شدة الحركة، لا على التأمّل الهادئ في طبيعة الشيء.[41] وهذا يعكس الحالة النفسية لموسى عليه السلام في تلك اللحظة، حيث غلب عليه عنصر المفاجأة والانفعال.

كما أنّ هذا اللفظ يُسهم في بناء البعد النفسي للنصّ، إذ إنّ السرعة المفاجئة والاهتزاز الشديد من أكثر العوامل إثارةً للخوف الفطري عند الإنسان، بخلاف الضخامة التي قد تُدرك بالتدرّج. ولذلك جاء التعبير ب جَانّ ليُصوّر لحظة الفزع الأولى التي دفعت موسى إلى التولّي، كما في تتمّة الآية. وقد أشار ابن عطية إلى أنّ هذا الوصف يُبرز أثر المعجزة في نفس النبيّ قبل أن يتعوّد عليها، وأنّ الخوف هنا ليس نقصاً، بل هو دليلٌ على شدّة التأثير الحسيّ للمعجزة.[42]

ومن زاويةٍ تداولية، فإنّ هذا التعبير يعكس طبيعة التلقّي الأوّل للحدث، حيث إنّ موسى عليه السلام لم يكن في مقام تحدٍّ أو مواجهة، بل في مقام تلقّي مفاجئ لخرقٍ للعادة لم يألفه من قبل. ولذلك جاءت اللغة معبّرةً عن التجربة الشعورية أكثر من كونها تقريراً موضوعياً لهيئة الكائن. وهذا ما يُفسّر اختيار لفظٍ يُركّز على الحركة والاضطراب، لأنّهما العنصران الأكثر حضوراً في وعي المتلقّي في تلك اللحظة.

وخلاصة التحليل، أنّ لفظ جَانّ في هذا السياق يُمثّل أداةً تصويريةً دقيقة تُبرز بُعد الحركة السريعة المضطربة، وتُجسّد الأثر النفسي للمعجزة في لحظة المفاجأة. وهو اختيارٌ لغويٌّ قائمٌ على مراعاة التفاعل بين الدلالة المعجمية، والأصل الاشتقاقي، والبنية التركيبية، والسياق النفسي، بما يكشف عن عمق الإعجاز البياني في القرآن الكريم، حيث تُسخَّر الألفاظ لتؤدّي وظائف مركّبة تتجاوز حدود المعنى المباشر إلى بناء تجربة إدراكية كاملة في ذهن.

تحليل لفظ (ثُعْبَان) (تحليلاً) دلالياً عميقاً في سياق المواجهة مع فرعون

[40] أبو العباس القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964 م)، ص 178

[41] أبو حيّان الأندلسي، النهر المادّ من البحر المحيط (بيروت: دار الجيل،1993 م)، ص 56

[42] ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (بيروت: دار الكتب العلمية، 2001 م)، ص 312

AL-QIBLAH: Jurnal Studi Islam dan Bahasa Arab
Vol. 5, No. 6 (2026): 907-923
doi: 10.36701/qiblah.v5i6.3688

يُعَدُّ اختيار لفظ ثُعْبَان في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ اختياراً بالغ الدقّة من الناحية الدلالية والبلاغية، إذ يُجسِّد أعلى درجات التصوير القرآني لهيئة العصا بعد انقلابها، بما يتناسب مع مقام التحدّي العلني أمام فرعون والسحرة. فاللفظ في أصله اللغوي مشتقّ من الجذر ث ع ب، الذي يدلّ على الانصباب والسيلان بقوّة، كما في قولهم ثَعَبَ الماءُ إذا اندفع جارياً بشدّة.[43] وهذه الدلالة الأصلية تُسهم في تشكيل صورة حيّة لحركة هذا الكائن، حيث لا يكون مجرّد حيّةٍ ساكنة، بل كائنٌ ضخمٌ مندفعٌ في حركته، كالسيل الجارف، وهو ما يُضفي على المشهد رهبةً وقوّةً استثنائيّة.

وقد نصّت المعاجم العربية على أنّ الثعبان هو أعظم الحيّات وأضخمها، حتى قيل: هو الذكر العظيم من الحيّات،[44] وهذا التحديد لا يركّز على الحجم فحسب، بل يشمل أيضاً القوّة والهيبة التي تُلازم هذا النوع من الكائنات. ويُعزّز هذا المعنى البناءُ الصرفي للفظ على وزن فُعْلان، وهو وزنٌ يدلّ في كثيرٍ من استعمالاته على الامتلاء والقوّة والشدّة، كما في غضبان و عطشان، ممّا يشير إلى امتلاء هذا الكائن بصفات القوّة والحركة والهيمنة.[45]

وعند الانتقال إلى كتب التفسير، نجد تأكيداً واضحاً لهذا البعد الدلالي، فقد ذكر الطبري أنّ المراد بـ"ثعبان مبين" هو حيّة عظيمة ظاهرة لا التباس فيها، تُشاهَد على حقيقتها دون وهمٍ أو تخييل،[46] وهو ما يُفهم منه أنّ المعجزة هنا بلغت ذروتها من حيث الوضوح الحسيّ. كما يبيّن الفخر الرازي أنّ وصف مبين يدلّ على الظهور التامّ الذي يقطع الشكّ، ويُبطل دعوى السحر، لأنّ السحر يقوم على التخييل، أمّا هذا فحقيقةٌ مشاهدة.[47] وهذا التحليل يُبرز بُعداً مهمّاً، وهو أنّ اختيار لفظ ثعبان مرتبط بوظيفةٍ حجاجيّة، لا مجرّد وصفٍ شكلي.

ومن جهةٍ بلاغية، فإنّ هذا اللفظ يُحقّق غاية التأثير في مقام التحدّي، حيث إنّ المشهد في سورة الأعراف هو مشهدُ مواجهةٍ مباشرة مع السلطة الطاغية ممثّلةً في فرعون، ومع النخبة السحرية في قومه. ولذلك كان لا بدّ أن تأتي المعجزة في صورةٍ تتجاوز كلّ ما يمكن أن يُتصوَّر من الخدع البصرية. وقد أشار الزمخشري إلى أنّ هذا التحوّل إلى ثعبان يفيد المبالغة في عِظَم الهيئة، بحيث يُدرك الناظر أنّ ما يراه ليس من

---

[43] ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة: دار الفكر، 1979 م)، ص 141

[44] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (بيروت: دار العلم للملايين، 1987 م)، ص 192

[45] عباس حسن، النحو الوافي (القاهرة: دار المعارف، 1974م)، ص 100

[46] محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2000 م)، ص 311

[47] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1981 م)، ص 180

قبيل السحر المعتاد.[48] ويؤكّد القرطبي أنّ هذا الوصف إنّما جاء لإظهار القهر والغلبة، إذ إنّ ضخامة الثعبان وهيبته تُلقي الرعب في قلوب المشاهدين، فتكون أبلغ في إظهار صدق الرسالة.[49]

كما أنّ اقتران لفظ ثعبان بوصف مبين يحمل دلالة تداولية عميقة، إذ إنّ الإبانة هنا ليست مجرّد وضوح بصري، بل هي وضوحٌ حُجَاجيّ يُفصح عن حقيقة المعجزة ويُسقط دعوى المعارضين. وقد نبّه ابن عاشور إلى أنّ هذا الوصف يُفيد أنّ الأمر بلغ من الوضوح حدّاً لا يمكن معه حمله على المجاز أو التخييل، بل هو حقيقةٌ واقعة تُدرك بالحسّ.[50] وهذا يتناسب تماماً مع سياق التحدّي، حيث كان المطلوب إظهار معجزةٍ تقطع الشكّ وتُفحم الخصم .ومن خلال هذا التحليل، يتبيّن أنّ لفظ ثعبان لم يُستخدم لمجرّد الدلالة على الحيّة الكبيرة، بل ليؤدّي مجموعةً من الوظائف الدلالية والبلاغية: فهو من جهةٍ يُعبّر عن الضخامة والقوّة، ومن جهةٍ أخرى يُصوّر الحركة المندفعة، ومن جهةٍ ثالثة يُحقّق غاية الإقناع والتحدّي في السياق الجدلي مع فرعون والسحرة. وبهذا يتجلّى مبدأ عدم الترادف في القرآن بوضوح، إذ لا يمكن أن يحلّ هذا اللفظ محلّ حيّة أو جانّ دون أن يختلّ المعنى المقصود أو يضعف الأثر البلاغي. فاختيار ثعبان هنا هو اختيارٌ إلهيّ دقيق يُعبّر عن ذروة التجلّي المعجز في لحظة المواجهة الحاسمة.

حِكْمَةُ اخْتِلَافِ الأَلْفَاظِ (حية جانّ ثعبان) وَتَجَلِّي الإِعْجَازِ اللُّغَوِيّ

إنّ التأمّل في اختلاف الألفاظ القرآنية في التعبير عن تحوّل عصا موسى عليه السلام إلى حيّة من حَيَّة إلى جَانّ ثم ثُعْبَان يكشف عن مستوى رفيع من الدقّة البيانية التي تتجاوز مجرّد التنويع اللفظي إلى بناءٍ دلاليّ متكامل يعكس تطوّر الحدث وتغيّر المقام. فليس الأمر مجرّد استعمال ألفاظ متقاربة في المعنى، بل هو انتقالٌ مقصود بين طبقات دلالية تُصوّر الحدث من زوايا مختلفة، بحيث تتكامل هذه الألفاظ لتشكّل لوحةً بيانيةً حيّةً متحرّكة.

فلفظ حَيَّة في بدايته يُوحي بأصل التحوّل من الجماد إلى الحياة، وهو انتقالٌ وجوديٌّ يُراد به تثبيت حقيقة المعجزة في نفس موسى عليه السلام، حيث يكون التركيز على أصل الحياة لا على تفاصيلها. وهذا المعنى يتّسق مع ما قرّره الراغب الأصفهاني من أنّ الألفاظ القرآنية تُختار بحسب أخصّ معانيها لا أعمّها،

[48] محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (بيروت: دار الكتاب العربي، 1987 م)، ص 115

[49] أبو عبد الله القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة: دار الكتب المصرية، 1964 م)، ص 221

[50] محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (تونس: الدار التونسية للنشر، 1984 م)، ص 75

وأنّ لكلّ لفظ خصوصيّةً دلالية لا يشاركه فيها غيره.[51] ومن هنا، فإنّ حَيَّة تُجسّد بداية الإدراك الحسيّ للمعجزة.

ثمّ ينتقل السياق إلى لفظ جَانّ، حيث تتبدّل زاوية التصوير من ماهية الكائن إلى حركته، فيُبرز النصّ عنصر السرعة والخفّة المفاجئة التي تُحدث صدمةً نفسية. وهذا الانتقال ليس اعتباطياً، بل هو تصويرٌ دقيق للحالة النفسية التي اعترت موسى عليه السلام عند رؤية الحركة غير المألوفة، وهو ما ينسجم مع ما قرّره عبد القاهر الجرجاني في نظريته في النظم من أنّ المعنى لا يُفهم من المفردات منفصلة، بل من طريقة ترتيبها في السياق وما تُحدثه من أثرٍ في النفس[52] .أمّا الذروة فتتمثّل في لفظ ثُعْبَان، حيث يبلغ التصوير غايته في مقام التحدّي والمواجهة، فيُركّز على الضخامة والقوّة والهيبة، بما يُناسب مقام مجابهة فرعون والسحرة. وهنا تتحوّل المعجزة من مجرّد علامة إلى حجّة قاهرة، ومن تجربة فردية إلى إثبات جماعي لا يمكن إنكاره. وقد أشار ابن عاشور إلى أنّ اختلاف الألفاظ في مثل هذه المواطن إنّما هو لاختلاف المقامات وتعدّد الأغراض، وأنّ هذا من دقائق الإعجاز البياني في القرآن.

إنّ هذا التدرّج الدلالي (حَيَّة، جَانّ، ثُعْبَان) يُمثّل حركةً تصاعدية في التأثير: من الإدراك، إلى الانفعال، إلى الإلزام. وهو ما يكشف عن نظامٍ لغويٍّ محكم لا يترك مجالاً للترادف المطلق، بل يجعل كلّ لفظٍ لبنةً في بناء المعنى الكلّي. وقد بيّن السيوطي أنّ من وجوه إعجاز القرآن اختيار الألفاظ على حسب المقامات بحيث لا يقوم غيرها مقامها،[53] وهو ما يتجلّى بوضوح في هذا المثال. ومن هنا، فإنّ الحكمة من هذا التنويع لا تقتصر على الجمال الأسلوبي، بل تمتدّ إلى تحقيق غاياتٍ دلالية ونفسية وتداولية في آنٍ واحد. فالقارئ حين يتأمّل هذه الألفاظ لا يكتفي بفهم الحدث، بل يعيش تدرّجه ويشعر بتصاعده، وكأنّ النصّ ينقله من مشهدٍ إلى آخر بوعيٍ دقيق. وهذا ما يجعل اللغة القرآنية لغةً حيّةً متحرّكة، لا مجرّد وسيلة نقلٍ للمعلومة . وعليه، فإنّ اختلاف هذه الألفاظ يُعدّ دليلاً قاطعاً على أنّ القرآن الكريم لا يعرف الترادف المطلق، بل يقوم على دقّةٍ اختياريةٍ تُعبّر عن كلّ حالةٍ بلفظها الخاصّ الذي لا يُغني عنه غيره. وهذا من أعظم مظاهر الإعجاز اللغوي، حيث تتجلّى البلاغة في أدقّ مستوياتها، في اختيار الكلمة التي تُصيب المعنى في عمقه، وتُحدث الأثر في النفس بأبلغ صورة.

[51] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن (بيروت: دار القلم، 2009 م)، ص 47

[52] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر (القاهرة: مكتبة الخانجي، 2004 م)، ص 56

[53] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (بيروت: دار الفكر، 1996 م)، ص 105

AL-QIBLAH: Jurnal Studi Islam dan Bahasa Arab
Vol. 5, No. 6 (2026): 907-923
doi: 10.36701/qiblah.v5i6.3688

الخاتمة

يتبيّن من خلال دراسة الألفاظ ،حَيَّة، و،جَانّ، و،ثُعْبَان، في قصة موسى عليه السلام أنّ اختلاف التعبير القرآني في هذه المواضع يرتبط بالدلالة التي يؤديها كل لفظ وبالسياق الذي ورد فيه. فقد أظهر التحليل المعجمي أنّ ،حَيَّة، تُستعمل اسماً عاماً للحيّة، وأنّ ،جَانّ، يرتبط في أقوال اللغويين والمفسّرين بوصفها بالخفة وسرعة الحركة، بينما يدلّ ،ثُعْبَان، على الحيّة العظيمة. وتكشف هذه المعاني عن اختلاف في الجوانب التي يبرزها كل لفظ عند وصف تحوّل عصا موسى عليه السلام.

كما أظهر التحليل التركيبي أنّ الاختلاف لا يقتصر على اختيار المفردات، بل يشمل طريقة توظيفها في الجملة. فقد ورد لفظ ،حَيَّة، في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه: 20)، مقترناً بالفعل ،تَسْعَى، الذي يبيّن حركة الحيّة. وجاء لفظ ،جَانّ، في سياق التشبيه في قوله تعالى: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ (النمل: 10، القصص: 31)، حيث ينصبّ التركيز على هيئة الحركة والاهتزاز. أمّا لفظ ،ثُعْبَان، فقد ورد في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (الأعراف: 107، الشعراء: 32)، وجاء وصف ،مُبِين، ليؤكد ظهور الآية ووضوحها في سياق مواجهة فرعون.

وبناءً على هذه النتائج، يتضح أنّ دلالة هذه الألفاظ لا تُفهم من معانيها المعجمية وحدها، بل تتشكّل أيضاً من خلال التراكيب والسياقات التي وردت فيها. فالتعبير بـ،حَيَّة، يقدّم تسمية مباشرة مقرونة بالحركة، والتشبيه بـ،جَانّ، يركّز على هيئة الحركة والاهتزاز، بينما يبرز التعبير بـ،ثُعْبَان مُبِين، عِظَم الحيّة ووضوح ظهورها. ومن ثمّ، تبرز أهمية الجمع بين التحليل المعجمي والتركيبي والسياقي في دراسة الاختيار اللفظي في القرآن الكريم، لما يتيحه ذلك من فهم أدقّ لوظيفة الألفاظ في سياقاتها المختلفة.

المراجع

Amalih, Ikhwan, 'Ma'nā "Ṭu'bān", "Ḥayyah" wa "Jānn" fī Qiṣṣati Mūsā (Dirāsah Dalāliyyah)', *Dirosatuna: Journal of Islamic Studies*, 1.1 (2018), pp. 72–79.

Dinda, Agustiar, dan Erman Ghani, 'Stilistika Al-Qur'an (Studi Makna Kata Tsu'ban, Jann Dan Hayyah Dalam Kisah Nabi Musa As', *Jurnal Pendidikan Tambusai*, 9.1 (2025), pp. 1365–1372.

Izutsu, Toshihiko, 'God and Man in the Qur'an' (Kuala Lumpur: Islamic Book Trust, 2002), p. 12.

Radiyah, Shaye' dan Najah, 'Alfāẓ al-Ḥayawān fī al-Qur'ān al-Karīm – Dirāsah Dalāliyyah (Kosakata Hewan Dalam Al-Qur'an: Kajian Semantik)', *Repositori Resmi Universitas El Oued*, 2017.

Al-Aṣfahānī, Al-Rāghib. *Al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur'ān*. Beirut: Dār al-Ma'rifah, 2009.

Al-Aṣfahānī, Al-Rāghib. *Tafṣīl al-Nash'atayn wa Taḥṣīl al-Sa'ādatayn*. Kairo: Maktabat al-Thaqāfah al-Dīniyyah, 2007.

Al-Ālūsī, Shihāb al-Dīn. *Rūḥ al-Ma'ānī fī Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm*. Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, 1997.

Al-Andalusī, Abū Ḥayyān. *Al-Nahr al-Mādd min al-Baḥr al-Muḥīṭ*. Beirut: Dār al-Jīl, 1993.

Al-Andalusī, Ibn 'Aṭiyyah. *Al-Muḥarrar al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-'Azīz*. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2001.

Al-Jurjānī, 'Abd al-Qāhir. *Dalā'il al-I'jāz*. Taḥqīq Maḥmūd Shākir. Kairo: Maktabat al-Khānjī, 2004.

Al-Jawharī, Ismā'īl ibn Ḥammād. *Al-Ṣiḥāḥ: Tāj al-Lughah wa Ṣiḥāḥ al-'Arabiyyah*. Beirut: Dār al-'Ilm li al-Malāyīn, 1987.

Al-Dhahabī, Muḥammad Ḥusayn. *Al-Tafsīr wa al-Mufassirūn*. Kairo: Maktabat Wahbah, 2000.

Al-Rāzī, Fakhr al-Dīn. *Mafātīḥ al-Ghayb*. Beirut: Dār al-Fikr, 1981.

Al-Zamakhsharī, Maḥmūd. *Al-Kashshāf 'an Ḥaqā'iq Ghawāmiḍ al-Tanzīl*. Beirut: Dār al-Ma'rifah, 2009.

Abū al-Su'ūd, Muḥammad ibn Muḥammad al-'Imādī. *Irshād al-'Aql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm*. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 1999.

Al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn. *Al-Itqān fī 'Ulūm al-Qur'ān*. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2004.

Al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. *Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl Āy al-Qur'ān*. Beirut: Mu'assasat al-Risālah, 2000.

Al-'Askarī, Abū Hilāl. *Al-Furūq al-Lughawiyyah*. Beirut: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah, 2003.

Al-Qurṭubī, Abū 'Abd Allāh. *Al-Jāmi' li Aḥkām al-Qur'ān*. Kairo: Dār al-Kutub al-Miṣriyyah, 1964.

Al-Qaṭṭān, Mannā'. *Mabāḥith fī 'Ulūm al-Qur'ān*. Kairo: Maktabat Wahbah, 2000.

Ibn Taymiyyah, Aḥmad ibn 'Abd al-Ḥalīm. *Majmū' al-Fatāwā*. Riyadh: Majma' al-Malik Fahd li Ṭibā'at al-Muṣḥaf al-Sharīf, 1995.

Ḥasan, ‘Abbās. *Al-Naḥw al-Wāfī*. Kairo: Dār al-Ma‘ārif, 1974.
Ibn Durayd, Abū Bakr Muḥammad ibn al-Ḥasan. *Jamharat al-Lughah*. Taḥqīq Ramzī Munīr Ba‘labakkī. Beirut: Dār al-‘Ilm li al-Malāyīn, 1987.
Ibn Fāris, Aḥmad ibn Fāris ibn Zakariyyā. *Mu‘jam Maqāyīs al-Lughah*. Taḥqīq ‘Abd al-Salām Muḥammad Hārūn. Beirut: Dār al-Fikr, 1979.
Ibn Sīdah. *Al-Muḥkam wa al-Muḥīṭ al-A‘ẓam*. Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 2000.
Ibn ‘Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. *Al-Taḥrīr wa al-Tanwīr*. Tunis: Al-Dār al-Tūnisiyyah li al-Nashr, 1984.
Ibn Manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram. *Lisān al-‘Arab*. Beirut: Dār Ṣādir, 1414 H.